مجلة الرائد

العدد : ١٨٥ الموافق في رجـــب ١٤١٧ هجري ١٢ / ١٩٩٦ ميلادي

عنوان المقال : كلنا يبكي فمن سرق المصحف ؟!	بقلم : محمد ياسر قضماني

تضمنا في كثير من الأحيان مجالس بعدد من الناس ؛ فتثار قضية أحوال المسلمين ومآسيهم وواقعهم المؤسف ؛ فتلمح أن الوجوه كلها متأثرة ، وتحسُّ أن المقام مشحون بالأسى البادي ، ولا يكاد يبقى في المجلس أحد دون تنهُّد وشكاية من تفريط المسلمين وتهاونهم بالأحكام الشرعية ، وكثرة منكراتهم ، وشيوع معاصيهم ، وتعديهم على حدود ربهم !. وتقرع سمعك آيات كثيرة تتضمن السنن الربانية الثابتة للنصر والهزيمة ، والعزة والهوان ، مما يدلك على فقه ووعي جيدين ، وتسمع طائفة غير قليلة من حديث رسول الله ﷺ تؤكد معاني القرآن وغير ذلك ، فيتبين لك أنهم فقهاء في الكتاب والسنة ! نعم فقهاء !.

وأكثر ما يحلو لهم الحديث عن علامات الساعة ؛ فهذا يقول : قلة الأمانة من أشهر أشراط الساعة ، فهل ترون أميناً ؟! دُلوني على أمين !

وذاك يقول : ومن علاماتها : ذهاب الخشوع في الصلاة ! فكم رجلاً يخشع في صلاته هذه الأيام ؟!

وثالث يقول : الربا ، نعوذ بالله من الربا ! الربا الذي أعلن الله الحرب في كتابه على كل من يتعاطاه ! ويقول عليه الصلاة والسلام : درهم ربا أشد عند الله من ستٍّ وثلاثين زَنْيةً.

ألا ترون إلى الربا كيف عمّ وطمّ كل بلادنا ؟!

وينبري رابع : لقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام عن مشهد لم يره ، وأنه لا بد كائن : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، قال بأنهن لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها.

ألا ترون نساء وبنات المسلمين كيف يخرجن ؟!

وخامس يتنهد بصوت يسمعه الجميع : أنسيتم الرشوة ؟! رسول الله ﷺ لعن الراشي والمرتشي والرائش بينهما ! حرام عليهم ، والله حرام ، لا آخذ أيَّ حق من حقوقي إلا برشوة ! أكل الحرام - ياجماعة - صار هو الأصل ، والله تعالى يقول : { **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** }.

وعندها أطرق الرأس ، وأسرِّح الطرف ، بعد مضي ساعة أو يزيد في ذكر المساوئ وكشف العيوب والتحسر على واقع المسلمين ، وأقول كل ما ذكر حق ، ولكن أليس هؤلاء مع أمثالهم ألفنا

المجتمع العاصي البعيد عن الله وعن أحكامه !؟.

وأتصفح الوجوه فأجد كثيراً من المنكرات المذكورة قد ألمّ جُل المتحدثين الشاكين بكثير منها !! ؛ فأموال أكثر المتحدثين في بنوك ربوية شهيرة ! ، وأما عن الخشوع في الصلاة فحدث ولا حرج ، وكلّ أدرى بصلاته ! ، وعن حشمة النساء والبنات فهي من أهاليهم مخدوشة في الغالب ! ، وأما عن المكاسب الخبيثة المحرمة والتعدي على حقوق الناس فوجوهها لا تحصى ؛ من هضم حقوق العمال والموظفين ، إلى التعدي على ميراث النساء والبنات والأطفال ومهور البنات ، إلى الغش والتدليس في التجارات وأكل الزكاة التي لم تذهب إلى بطون الفقراء والمساكين ، إلى أكل أموال اليتامى ، وغيرها كثير.

إن المجلس يشكو من الرشوة وكثير منهم يختصرون أوقاتهم بدفع الرشوة لتنجز أعمالهم ؛ لأنهم وجهاء فكيف ينتظرون ؟! يشكون من أن الحكام يعبثون بالمال العام ومدخرات الأجيال ، وهم مسرفون على أنفسهم بالمحرمات والموبقات ، وإذا سافر أحدهم إلى أوروبا مستجماً في الصيف أنفق آلاف الدولارات في لغو على الأقل وإن لم يقع في محظور.

وأمثال هؤلاء لا يكفون دائماً عن الشكوى والتظاهر بالألم والحرقة على واقع المسلمين وإنهم جزء من المأساة ، ولبنة مهترئة من هذا البنيان المتداعي !

أتذكر بهؤلاء أولئك الذين كانوا يحفون بمالكَ بن دينار الزاهد الواعظ الصالح ، ويتأثرون بكلامه وموعظته ، وربما بكى بعضهم وتباكى آخرون ، وفي أحد الأيام فقد الشيخ مصحفه ، وما فقد إلا بينهم ، فكان إذا وعظ الناس وبكوا يقول :

كلكم يبكي فمن سرق المصحف !؟

نعم ، صدق !! كلنا نبكي ونظهر الجزع على أحوالنا ، ونقول : فسد الزمان ألسنا من الذين نصنع بقدر الله هذه الأوضاع وهذه المأسي ؟!

فمتى نكف عن الشكوى والدعوى دون دليل وعمل ؟!

وصدق الله عندما قرر السنة الثابتة للتغيير فقال : { **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** }